

## المستشرقون الكتابيون ومواقفهم من الإسلام من حيث الانصاف وعدمه مونجمري وات أنموذجاً فيما يخص العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية

أمجد قورشه، سوسن هاكوز \*

### ملخص

راج عند بعض الباحثين في ظاهرة الاستشراق ان عددا من المستشرقين قد اتصفوا بالانصاف والموضوعية على الرغم من خلفيتهم المسيحية وبعض الاحيان التبشيرية. وهذا الرواج قد أدى إلى تمرير قناعات ومفاهيم خطيرة معادية للإسلام. ومن أشهر من وصف بالموضوعية والحيادية المستشرق القسيس البريطاني مونجمري وات الذي ألف مجموعة من الكتب حول الإسلام، خاصة في السيرة النبوية والوحي ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم، كما اهتم في كتبه بالعلاقات الإسلامية المسيحية. أرادت هذه الدراسة التحقق من صدق هذه الدعوى ووصلت إلى عدم مصداقيتها من خلال مزاعم ودعاوى وات حول تأثير القرآن الكريم باليهودية والمسيحية.

الكلمات الدالة: مستشرقون، موضوعية، حياد، تنصير، تبشير، مسيحية، مونجمري وات.

### المقدمة

مرادنا حول ما يزعم من الانصاف وعدمه لهذا المستشرق ومن سار على نهجه.

يتناول البحث مزاعم وآراء "وات" حول تأثير القرآن باليهودية والمسيحية من خلال كتب "وات" التي استطعنا الحصول عليها وفي ظاهر ما بدا لنا ووصلنا إليه فإنه لم توجد دراسة تبحث "وات" وأثر مسيحيتها في موقفه من القرآن الكريم وبالتالي الى أي درجة كان منصفاً وموضوعياً كما يروج له أم أن آراءه هي آراء قسيس مبشر في ثوب مستشرق ذي فكر وعلم<sup>(2)</sup>.

يجدر بنا التنبيه هنا أن وات لم يكن وحيد عصره ولا فريد دهره في مزاعمه بل سبقه ولحقه كثيرون إذ يعتبر موضوع "مصادر القرآن أو مصادر الإسلام" فرعاً مستقلاً بذاته في الدراسات الاستشراقية. زعم فيها المستشرقون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استمد القرآن وتعاليمه من المصادر اليهودية والمسيحية وغيرها من المؤثرات التي شكلت تعاليم الدين الإسلامي. وقد اكتسبت هذه الدعاوى أهمية كبرى في السياق الاستشراقي نظراً لما يترتب عليها من نفي صفة الألوهية عن مصدر القرآن وإثبات صفة الوضع البشري عليه. وقد وصفت هذه الدراسات بالسيل الذي لم ينقطع خلال النصفين الثاني والأول من القرنين الثامن والتاسع عشر؛ وهي مرحلة الزخم الفعلي لحركة الاستشراق بكل اللغات الأوروبية وفي سائر أقطارها.<sup>(3)</sup>

والعجيب في منهج وات أن له اسهامات كبيرة الى حد ما في الذنب عن الاسلام أمام الاخطاء المنهجية التي يقوم بها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛ فإن القرآن الكريم قد أثار الانتباه ولفت الأنظار وبهر الألباب وسحر القلوب منذ البواكير الأولى لتنزله. بيد أن هذا الكتاب قد جوبه بالرفض والاتهام والتضليل في مصدره وأصله ونصّه وتاريخ تنوينه وغير هذا الكثير.

وكان ممن رفع لواء هذه الحملات المتتابعة المستشرقون. هدفهم من ذلك نزع هالة القدسية عنه وإلباسه صفة البشرية التي تحمل في ثناياها بذور النقص. وديدنهم أن يغذي كل مستشرق منهم الآخر بلبن التشكيك والطعن حتى غدت هذه الدراسات اتجاهات؛ لا بل مدارس للاستشراق يربطها خيط ناظم بمناهجها الغربية، تزرع الشبهات وتتجنى على كتاب الله.

إن الحاجة ماسة إلى قيام دراسات مضادة ترد كيد الشبهات إلى نحرها، وتنبّ عن كتاب الله ما ليس فيه، وتعيد الحقيقة إلى أصحابها ناصعة كما جاءت وأريد لها أن تكون.

وهذه الدراسة تحاول الكشف عن موقف أحد المستشرقين وهو "وليام مونجمري وات"<sup>(1)</sup> للتعرف على مزاعمه حول تأثير القرآن باليهودية والمسيحية بسبب العلاقة التاريخية. لنصل إلى

\* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2013/1/27، وتاريخ قبوله 2013/3/28.

بعض الغربيين في تشويه صورة الاسلام وهذا ما أدى الى اعتباره لدى البعض بأنه مستشرق محايد<sup>(4)</sup> ولكن المتفحص المدقق لأسلوب هذا المستشرق قد يشترك معنا بأنه لا يخرج في منهجه الاكاديمي عن عقلية الاستعمار البريطاني في النهج السياسي<sup>(5)</sup> وهذا ما نطمح للوصول الى نتائج علمية مقبولة والتدليل عليها في خاتمة هذا البحث. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي بمقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

### التمهيد

وقبل الخوض في الحديث عن "وات" تحديدا لا بد من توضيح لخطورة ما نحن بصدد مما ينبغي على الباحثين المسلمين الا يغفلوا عنه<sup>(6)</sup>. فالقرآن يدعو دائما للاقترب من الآخر ولفهم الآخر وللحوار معه والآيات الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى ولكن هذا للأسف يتقابل مع حقيقة أخرى وهي أن بعضا من أهل الكتاب لهم موقف سلبي جدا من المسلمين سواء أحسن المسلمون أو أسوأوا. يقول تعالى:

"ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون، يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟" (آل عمران 69-70)

"إن تمسككم حسنة تسؤمهم وإن تمسككم سيئة يفرحوا بها" (آل عمران 120) فأمثال هذه الآيات تدعونا بوضوح للحذر من النوايا والمقاصد والى عدم التسليم بظواهر الامور فيما يصدر من بعض أهل الكتاب.

وهذا البحث وإن كان هدفه النهائي بيان حقيقة الزعم بإنصاف وحيادية مستشرق من عدمها إلا أن هذا لا يتم دون المرور السريع على فترات تاريخية حساسة في تاريخ هذه الأمة لما لهذه الفترات من مدلولات عميقة تعيننا على فهم نقاط الانطلاق في هذا البحث. ومن أبرز هذه الفترات على سبيل المثال الحروب الصليبية.

يقول العالم الغربي المسلم محمد أسد في كتابه: الإسلام على مفترق الطرق، من فصل بعنوان "شبح الحروب الصليبية": "(فيما يتعلق بالاسلام) لا تجد موقف الاوروبي موقف كره في غير مبالاة فحسب، كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل هو كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد. وهذا الكره ليس عقليا فحسب، ولكنه يصطبغ أيضا بصبغة عاطفية قوية. قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن،

ومبني على التفكير. إلا انها حال ما تتجه الى الاسلام يخل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب... وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش (محاكم التفتيش)، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدا أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها... وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية، تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا... ويظهر أنهم ينتشون بشئ من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة -حقيقية أو خيالية- ينالون بها من الاسلام"<sup>(7)</sup>.

ويكمل غراب بقوله "وهذا الحكم لا ينفرد به العالم الغربي محمد أسد، بل يشاركه فيه كثير من العلماء والمفكرين الغربيين الذين اهتموا الى الاسلام، بل ويؤيده كذلك بعض العلماء والمفكرين من غير المسلمين حيث يؤكد هؤلاء أن الصورة المشوهة للإسلام والعرب ما زالت مستمرة في الدراسات الاستشراقية وفي وسائل الإعلام في الغرب بوجه عام، وفي الولايات المتحدة بوجه خاص"<sup>(8)</sup>.

### أهمية الدراسة

تكمن أهمية الموضوع في كونه حلقة من الحلقات الكثيرة للاستشراق الذي يركز في دراساته على الطعن في أصل القرآن ومصدره. وهذه المزاعم والشبهات قد خرجت من شخصية استشراقية معاصرة وصفت بالاعتدال والمحايدة فيما يتعلق بدراساته عن الإسلام والقرآن وهما في هذه الشخصية تحديدا أنه كان من القساوسة النصارى فهو قسيس ابن لقيس وله شهرة واسعة في العالمين الاسلامي والغربي.

**مشكلة الدراسة:** تكمن مشكلة الدراسة في أن هذه النوعية من المستشرقين قد نجحت ولعقود من السنين في رسم صورة عن أنفسهم بدت بالحيادية والمنصفة من خلال الانصاف الجزئي لبعض القضايا ولكن المتتبع لدقائق الامور سيذهل من حجم البذور التي ترمي الى الطعن المتقصد في ثوابت الاسلام والتي تتم على أيدي هؤلاء المستشرقين بطريقة ممنهجة. وإثبات هذه القضايا ليس بالسهل ولا الميسر الا بعد التتبع والربط والتحليل وكون "وات" على سبيل المثال ليس متخصصا بالقرآن مثل بعض المستشرقين الآخرين<sup>(9)</sup> فقد لا ينتبه الى حجم ونوعية دعواته الخفية وأثر هذه الدعوات المبطنة التي يرسلها بين ثنايا كتبه فيما يخص القرآن الكريم أثناء نقاشه لقضايا في السيرة.

## المبحث الأول: ظاهرة الاستشراق والهدف الديني والعلاقة بالتنصير والكنيسة

### المطلب الأول: ظاهرة الاستشراق: هل هي ظاهرة حديثة؟

يجدر بنا كذلك التنبيه الى أن الاستشراق ليس ظاهرة جديدة الا إذا نظرنا اليها بالمعني الحرفي للتعريف الاصطلاحي أما في لبها وجوهرها فليس كذلك، يقول احمد غراب "يتضح مما سبق عن مفهوم الاستشراق وخصائصه أن الاستشراق في جوهره موقف عقائدي وفكري معاد للاسلام يقفه الكافرون بهذا الدين بوجه عام، ويعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى بشكل خاص... فهو موقف الكافرين بالاسلام من المشركين وأهل الكتاب. منذ ظهور الاسلام حتى اليوم: وهو موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم، وإثارة الشبهات حول الاسلام، وحول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بوجه خاص، لتشكيك المسلمين في دينهم، ومحاولة ردهم عنه.... وقد تختلف وسائل المشركين ووسائل أهل الكتاب، ولكنهم في نهاية المطاف يلتقون حول الهدف: وهو محاولة منع الخير وهو الاسلام. عن المسلمين، ومحاولة ردهم عنه كما قال تعالى "ما يؤدّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم" (البقرة 105)(10).

### المطلب الثاني: الهدف الديني لدى الاستشراق

الهدف الديني والدافعية الدينية والمبنية غالباً على مشاعر ومعان سلبية بل وبعض الاحيان عدائية كانت حاضرة لدى الكثير من المستشرقين، ويذكر د زقزوق عن ادوارد سعيد أن كل باحث عن تاريخ الاستشراق يستطيع "أن يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الاسلامية والعربية في أوروبا، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية" (11) ويؤكد د غراب هذا المعنى إذ يقول: "فكثير من المستشرقين نصارى تخصصوا في الدراسات اللاهوتية للكتاب المقدس (أي العهدين القديم والجديد)، وأعدوا اعداداً خاصاً للقيام (بالتعاون مع المستشرقين اليهود) بمهمة دراسة الاسلام والمسلمين لأهداف عديدة منها: التعرف على الثغرات التي يمكن استغلالها لتسويه الاسلام، وبث الفرقة والفتنة بين المسلمين، وإثارة الشبهات لتشكيكهم في دينهم، ومحاولة ردهم عنه، وبعضهم كان (أو مازال) يمارس فعلاً النشاطات الاستشراقية والتنصيرية معاً، بصور مختلفة ودرجات متفاوتة: أمثال جورج سيل، وسنوك هرجرونييه، وماسينيون، وصمويل زويمر، وماكدونالد، وترتون، ولانمس، وألفرد جيوم، ومونتجمري وات، وكينيث كراج، وولفرد

سميث، وجون سبوزيتو، وهانز كونج... وغيرهم وغيرهم" (12).

"وإذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهراً الآن في الكثير من الكتابات الاستشراقية فليس معنى ذلك أنه قد اختفى تماماً، إنه لا يزال يعمل من وراء ستار بوعي أو بغير وعي (13). فمن الصعب على معظم المستشرقين النصارى. المشتغلين بدراسة الاسلام. وأكثرهم متدينون، أن ينسوا أنهم يدرسون ديناً ينكر عقائد أساسية في النصرانية ويهاجمها ويفنّدها مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء، كما أنه من الصعب عليهم أيضاً أن ينسوا أن الدين الاسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها" (14).

### المطلب الثالث: العامل السياسي لدى الاستشراق

وما ينبغي كذلك أن نغفل عن زاوية خطيرة قلما ركز عليها الباحثون عند دراسة شخصيات المستشرقين وهي علاقة هؤلاء بصنع القرار السياسي المتعلق بالامكان او المجالات التي تخصصوا بها وكم أسهموا في تأييد آلة الشر الاستعمارية. يقول د غراب: "إنها دراسات تسهم بشكل فعال في صنع القرار السياسي في الغرب ضد الاسلام والمسلمين: فكثير من المستشرقين كانوا - وما يزالون. يعملون مستشارين لحكوماتهم في التخطيط لسياساتها الاستعمارية والتنصيرية في العالم الاسلامي... هذا بالإضافة الى الصورة المشوهة التي كونها المستشرقون عن الاسلام والمسلمين، ونشروها في الجامعات وفي وسائل الاعلام كان. وما يزال لها أكبر الاثر على صانعي القرار في الحكومات الغربية" (15).

وينبغي أن لا نغفل هنا عن حقيقة - وإن كانت ليست ذات علاقة مباشرة بالبحث - الا أنه يجدر التنبيه لها الا وهي أن عدداً لا بأس به من المستشرقين كانوا يهوداً من أمثال اليهودي النمساوي جولدتسيهر الذي كتب كتابه الشهير "مذاهب التفسير الاسلامي". والذين لهم أهدافهم الخاصة بل والأكثر خطورة من المستشرقين النصارى خاصة إذا ربطنا بين المستشرقين اليهود والحركة الصهيونية والفكر الصهيوني الاستعماري والمتوافق من حيث الاهداف مع الحركة الاستعمارية الغربية. ذكرنا هذا للتنبيه لمن أراد الاستزادة وإن كان تركيزنا على شخصية "وات" كمستشرق نصراني. (16)

### المطلب الرابع: العلاقة بين الاستشراق والتنصير وأثر الكنيسة على الانصاف والموضوعية

وليزداد الامر وضوحاً لدينا حول أهمية الهدف الذي نبحت عنه وهو التعرف على حقيقة نوايا المستشرقين والاثبات بالمؤشرات أو الدلائل على ما يضمرون فلا بد من وقفة سريعة

يبدو وكأن هناك مخططا يسير باتجاه إشهارهم بهذه الموصفات عبر أكثر من طريق ومنها - على سبيل المثال- ما يذكره غراب عن مونجمري وات وعن مقال نشر عنه في لندن بعنوان "المسيحي ذو التعاطف غير العادي مع الاسلام"

The Christian with Unusual Sympathy for Islam

بقلم ماليز روثن وهو ناشط مسيحي في مجال الغزو الفكري ضد المسلمين، وكيف عمد كاتب المقال لاتخاذ القاء الذي اجراه مع وات ذريعة لتمجيده في حقل الدراسات الاستشراقية، ويبدأ المقال بالتعريف بوات بأنه قسيس ملتزم بالمسيحية ويحرص على توثيق الصلة بالمسلمين ويتصف بالموضوعية "ويحاول المقال أن يظهر المستشرق على أنه "استثناء مشرف" من القاعدة العامة وهي تعصب المستشرقين ضد الاسلام" (22)

وفي مبحث مواقف المستشرقين ينقل النملة عن وات قوله "جد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا عن الاسلام. وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسطة في أوروبا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتبابها" وقريب من هذا ما صرح به المستشرق نفسه في محاضرة أخرى حيث يذكر "أن الأوروبيين في عصر النهضة كان لا يزال لديهم احساس بالنقص بالنسبة للمسلمين، ولذلك عمد مفكروهم الى تشويه حقائق الاسلام، فعرضوا الاسلام وتاريخ المسلمين في صورة منفرة. ولكننا معشر الغربيين في القرن العشرين لم تعد تسيطر علينا عقدة النقص كما كان الحال في عصر النهضة، وذلك بعد أن انتقل زمام السيادة إلى أوروبا وأصبحت لها السيطرة والغلبة، ولذا أصبحنا الآن لا نجد حرجا في ذكر الحقائق دون تحريف، وبالتالي ظهر الانصاف والموضوعية فيما نكتب عن الاسلام والمسلمين" وضرب مثلا لذلك بكتابه (محمد في مكة) و(محمد في المدينة).

ويكمل د النملة "والمنتبع لهذين الكتابين وكتابه الثالث (محمد الرسول ورجل الدولة) لا يجد الانصاف الذي يذكره "مونجمري وات" فقد اتكأ فيها على معلومات سابقة، وفسر بعض الاحداث التي مرت بالرسول - عليه الصلاة والسلام - تفسيراً مادياً، اعتمد فيه على الاسقاط مثلاً" (23).

ولا بد هنا من التنبيه الى أن اعترافات وات نفسه بعدم قدرة الكتابات على الانصاف والموضوعية قد تكون تغطية لما يريد دسه تحت ستار الموضوعية ولعل امثال هذا العبارات هي ما خدع المخدوعين بأمثاله.

ومختصرة عند حقيقة العلاقة بين الاستشراق والتنصير.

ينقل النملة عن أنور الجندي أن الاستشراق في شطريه "عاملا مع الكنيسة أو عاملا مع وزارات الاستعمار لا يستطيع أن يخلص الى الحق وإنما هو يؤدي دوره في إثارة الشبهات وتقديم الزاد الكافي لدراسات التبشير ومعاهد الارساليات لخلق ظاهرة من انقاص العرب والمسلمين وفكرهم ولغتهم وعقائدهم" (17).

يتم النملة "ولأن الاستشراق كقاعدة معلومات" للتنصير كان لا بد أن تكون هناك فروق في المنطلقات بين الاستشراق والتنصير وإن اتفقت الغايات العليا لهاتين الوجهتين: فالمنصر "داعية" للدين النصراني/ المسيحي، أو هو داعية لخروج المسلم عن دينه فحسب، أما المستشرق فهو باحث في تراث المسلمين وقيمهم ومفاهيمهم وأخلاقياتهم يبت نتائج في دراساته وبحوثه وكتبه ومحاضراته" (18).

"والمنصر . نسبيا . صريح في دعوته واضح فيها وإن حاول اخفاها تحت ستار خدمة الانسانية، لكنه لا يتردد في أن يعلق الصليب على صدره أو في مكتبه أو عيادته أو معمله أو مدرسته... أما المستشرق فباطني يتظاهر بالعلمية والمنهجية والتجرد والموضوعية وإن كان من القساوسة الرهبان، ويحاول الوصول الى أغراضه الباطنة ممتطيا صهوة العلم والتجرد... وقد وفق بعضهم . دون شك . في إشعار بعض "الآخرين" بهذا، فانقاد له بعضهم، وتنبه له الآخرون فأخذوا منه وردوا وكان ما رده عليه أكثر مما أخذوه منه" (19).

وينقل د أبو خليل عن "فريدريك نيتشه" رأيه في رجال الكنيسة بأنهم "لا يخطئون فقط في كل جملة يقولونها، بل يكذبون، أي إنهم لم يعودوا أحرارا في أن يكذبوا ببراءة أو بسبب الجهل" (20).

"إن حرية الرأي عندهم أن تقول ما يرضي الكنيسة فقط، وما يؤيد أكاذيبها واقتراءاتها، فحينما ألف برنارد شو كتابا عن محمد صلى الله عليه وسلم منعت الكنيسة من اصداره، فلم ير النور قط. وحينما رأى تولستوي الحملة الظالمة على الاسلام، وعلى رسوله، كتب رأيه في هذا الدين الذي أعجب به، واعتذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نال إكباره، فكان جزاؤه على ذلك - أي على كلمة الحق - أن حرمه البابا من رحمة الله" (21).

## المبحث الثاني: المستشرقون والحياد والموضوعية وخطر

### المبالغة في الاخذ عنهم

### المطلب الاول: المستشرقون والموضوعية

محاولة إقناع الناس بموضوعية وإنصاف المستشرقين لا تقف عند حدود ما يعلنونه أو يزعمونه عن أنفسهم بألسنتهم بل

## المطلب الثاني: الفتنة بالمستشرقين والمبالغة في الاخذ عنهم وخطر الهزيمة النفسية

مما يزيد من ضرورة إجراء بحث كالذي نحن بصدد أن المشكلة المطروحة ما عادت مجرد فكرة نهدف الى تنبيه الناس اليها، بل إن خطورة المسألة وصلت الى حد أن عددا من الباحثين بالغ في الاخذ عنهم والثقة بهم، بل إن بعضهم وصل الى حد الافتتان بهم وبما يقولون. وعلى سبيل المثال حقيقة موقف مونتجمري وات من جورج سبيل في ترجمته الشهيرة للقرآن والتي تمت لأول مرة ١٧٣٤ بعنوان القرآن أو قرآن محمد وكيف أنه حشد فيها الافتراءات الاستشراقية والتي لا تدع مجالا للشك في حقه على الاسلام، ومنها أن القرآن ليس وحيا وفيه التناقض والتكرار ومستمد في معظمه من اليهودية ووصف محمد صلى الله عليه وسلم بأنه مؤلف القرآن وأنه قد خطط لهذا باحتيال ومكر وأعانه آخرون وهو يصرح في تمهيده أن الهدف من ترجمته هذه هو تسليح البرتوسانتات في حربهم التنصيرية ضد الاسلام والمسلمين وهذه الترجمة قد أعيد نشرها منذ ظهورها أكثر من ثلاثين مرة ولا تزال تعتبر من أشهر وأهم الترجمات الاستشراقية للقرآن<sup>(24)</sup>.

والثير في موضوعنا أن مونتجمري وات يصف هذه الترجمة "مع هوامشها لا تزال ذات قيمة حتى الآن، كما وصف مقدمتها بأنها وصف موضوعي للاسلام"<sup>(25)</sup>.

"ولعل وصف مونتجمري وات لمقدمة جورج سبيل بالموضوعية. بعدما عرفناه عن محتواها ودوافعها واستعمالاتها على أيدي المنصرين. يلقي الضوء على مفهوم الموضوعية والانصاف عند المستشرقين"<sup>(26)</sup>.

وعلى الرغم من هذا الموقف لمونتجمري وات فإنك تجد بعضا من المفتونين بالمستشرقين من المسلمين وبطريقة تدعوك الى الشك والريبة فلو اطلعنا على ما يقوله عبد الرحمن بدوي عن جورج سبيل في موسوعته عن المستشرقين: "وكان سبيل منصفًا للاسلام بريئا. رغم تدينه المسيحي. من تعصب المبشرين المسيحيين وأحكامهم السابقة الزائفة، فلم ينكر نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنه كان من أنصار نزعة التنوير التي انتشرت في أوروبا في تلك الفترة. وكان يرفض كل وسائل الضغط والاكراه التي كانت تلجأ اليها الكنيسة الكاثوليكية. وكان ضد كل نوع من أنواع الاكراه في الرأي والاعتقاد، وينبذ كل ما يتنافى مع العقل في أمور الدين" انتهى كلامه<sup>(27)</sup> ويعلق غراب على كلمات د بدوي بقوله "وهذا كذب صريح لا يمكن أن يصدر من عالم يستحق الاحترام. وأخبرت من هذا الكذب دوافعه، لأنها تزيين للباطل، وغش للمسلمين"<sup>(28)</sup>.

وهذه الفتنة قد أدت الى خطر الهزيمة النفسية والذي قد يؤدي بدوره الى إضلال الأجيال القادمة وتحريف الواقع. لذا فإننا نجد على سبيل المثال كيف أن د غراب في مبحث الاستشراق في العصر الحديث وموضوع الهزيمة النفسية قد وضح كيف أنه تحت تأثير الهزيمة النفسية فإن بعض مفكري الاسلام أخذوا يدافعون عن المستشرقين في العصر الحديث وأنهم يختلفون عن اسلافهم المستشرقين في العصور الوسطى وأنهم قد اتخذوا موقفا جديدا من الاسلام هو موقف الدارسين الموضوعيين الامناء، إن لم يكن موقف المتعاطفين الاصدقاء.<sup>(29)</sup>

ثم لبيان أن موقف هؤلاء لم يتغير نقل عن إدوارد سعيد تأكيده في كتابه الاستشراق أن الصورة المشوهة للإسلام وللعرب ما زالت مشوهة في الدراسات الاستشراقية وكذا في الاعلام الغربي بشكل عام وفي أمريكا بشكل خاص وأن المقالات والكتب المنشورة لا تختلف إطلاقا عن الجدل الخبيث المعادي للاسلام في القرون الوسطى وعصر النهضة ثم أعطى (أي د غراب) عدة امثلة فذكر على سبيل المثال نودلكره وصموئيل مرجليوث وماكدونالد وجب ثم ذكر مونتجمري وات وكيف أنه في كتابه "محمد النبي ورجل الدولة" يزعم أن القرآن ليس وحيا وإنما هو من انتاج الخيال المبدع كما يسميه وأن القرآن يعتمد كثيرا على الاخذ من اليهودية والنصرانية<sup>(30)</sup>

وفي ختام هذا المطلب لا بد لنا من التنبيه الى خصيصة تمتاز بها مدرسة الاستشراق البريطانية والتي ينتمي اليها وات فكما أسلفنا لا ينبغي أن نفتت المسائل ونقع أوصالها بل يجب علينا أن نبحث عن الروابط لنستنتج ما خفي أو يحاولون إخفاءه يقول زناتي "يمتاز الاستشراق البريطاني بارتباطه بالحركة الاستعمارية ومحاولة ترسيخ السياسات الاستعمارية الانجليزية في الشرق" وهذه العبارات وهذه القناعات لا يمكن إغفالها عند الحديث عن مستشرق بريطاني قسيس وابن لقسيس<sup>(31)</sup>.

## المبحث الثالث: منهج "وات" كما يراه ومزاعمه حول العلاقة التاريخية بين القرآن واليهودية والمسيحية:

لفهم المستشرق الذي نحن بصدد دراسته والتعرف عليه سنحاول ان نسير معه كما قدم نفسه بنفسه وكما يريد منا هو أن نفهمه.

إن المنهج العام الذي سلكه "وات" وأراد أن يؤكد عليه في دراساته الاستشراقية يدور حول موقف ألزم نفسه به تجاه القضايا الخاضعة لدراساته. ويتمثل هذا الموقف بتصريحه على أنه يلتزم الحياد في القضايا المختلف فيها بين الإسلام

والمسيحية. وضرب مثلاً على ذلك بقوله: "مثلاً لكي أتجنب الحكم على القرآن بأنه كلام الله أو ليس بكلامه فقد تجنبت حين الإشارة إلى القرآن استعمال عبارتي: "قال الله" أو "قال محمد" فلم أقل إلا "قال القرآن". إنني لا أعتقد أن الإنصاف التاريخي ينطوي على نظرة مادية وإنما أكتب باعتباري موحداً"<sup>(32)</sup>.

حرص "وات" في كتبه أن يظهر بمظهر المحايد وأجرى محاولات لمجاملة المسلمين حتى عده بعض المؤلفين بأنه المستشرق المتعاطف<sup>(33)</sup>. وقد وصف منهجه في دراسة النبوة "جغرفيشيخ إدريس" في بحثه منهج مونتغمري وات في دراسة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله "قال الأستاذ وات يريد إذاً أن يكتب باعتباره مؤرخاً منصفاً، مؤمناً بالله الواحد، ملتزماً الحياد في القضايا الدينية التي يختلف فيها الإسلام والمسيحية، ويقرر الحقائق التاريخية كما هي، ويرى أن التزام المنهج العلمي في البحث لا يقتضي الوصول إلى نتائج مناقضة للمعتقدات الإسلامية، ولا يقول قولاً يلزم عنه إنكار شيء من معتقدات المسلمين الأساسية، وهو وإن كان مؤمناً بأهمية العوامل المادية وباحتاً عنها، إلا إنه لا يعدها المسيرة لحركة التاريخ، ولا يؤمن بالنظرة المادية إلى الحياة."<sup>(34)</sup>.

وبعد هذا الوصف هل يمكننا اعتبار "وات" مستشرقاً محايداً؟ وهل ادعاءاته اتخذت بعداً واقعياً تحقيقاً، أم كانت ضرباً من الخيال؟ وهل ما وُصف به من التعاطف مع الإسلام واتباع المنهج العلمي يجعله يستحق منا التقدير والامتنان؟ هذا ما سنجيب عنه في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى.

اهتم "وات" في كتبه بإبراز تاريخية العلاقة بين الإسلام من جهة واليهودية والمسيحية من جهة أخرى، ورسم لهذه العلاقة إطاراً عاماً بناء اعتماداً على رؤيته للمراحل التاريخية والاجتماعية التي سادت في الجزيرة العربية قبل انطلاق دعوة محمد (عليه الصلاة والسلام) وبعدها. وشملت رؤيته لطبيعة هذه العلاقة الملامح التالية:

1- **المطلب الأول:** أثر الأفكار اليهودية والمسيحية في الجزيرة العربية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

يشير "وات" إلى أن العقلية العربية المعاصرة لمحمد (عليه الصلاة والسلام) تأثرت بالأفكار اليهودية والمسيحية وغيرها من الأفكار التي كانت موجودة في الشرق الأوسط آنذاك؛ فقد كان العرب على صلة بالإمبراطورية البيزنطية وبالأحباش المسيحيين في اليمن مما عرضهم للتعرف على الأفكار اليونانية والفكر المسيحي. كما تعلم أهل المدينة أشياء كثيرة من اليهود المستقرين هناك، ولا يستبعد "وات" احتمال التأثير بالجماعات الموحدة غير اليهودية والمسيحية ولكنه يسارع إلى

ذكر أن تأثيرهم كان ضئيلاً.

ويبني "وات" فرضيته على أن القرآن وهو يوجه خطاباً للعرب في موقعه هذا لا بد وأن يكونوا قد تأثروا على نحو ما بأفكار يهودية ومسيحية مما سهل بعد ذلك انتشار الإسلام وسيطرة المسلمين على هذه المنطقة.<sup>(35)</sup> وقد يجدر بالذكر هنا الإشارة إلى أن مالك بن نبي يشير إلى أن "مصادر العصر التاريخية لا تصف أي كنيسة في مكة أو أي كنيس أو دير في ضواحيها؛ لقد انسحب الحنفاء فقط في أماكن منعزلة ولم تكن لهم طريق في تصوفهم سوى أنهم كانوا يمارسون الزهد أو التخلي عن الدنيا مما يدل على سمة الصحراء وطابعها في نفوسهم.... إن سلوك الحنفاء لم يمتد إلى الأخلاق المسيحية أو الشريعة الموسوية بل كان نظاماً فردياً فطرياً بسيطاً... وكان الطابع الإبراهيمي ظاهراً بقدر في البيئة الجاهلية، ولكن هذا الطابع كان تقليداً عربياً محضاً لا يمت بصلة إلى التفكير اليهودي المسيحي..."<sup>(36)</sup>.

كما يؤكد على أنه لم يكن غريباً أن يلجأ محمد (صلى الله عليه وسلم) لفهم ما يحدث له أثناء تجربة الوحي الأولى لأشخاص مثل ورقة بن نوفل الذي كان لديه علم قليل عن الوحي في التراثين اليهودي والمسيحي مما أسهم في فهم مهمته الخاصة.<sup>(37)</sup>

هذا ويشير "وات" إلى الكثيرين ممن كتبوا عن الأفكار اليهودية والمسيحية في القرآن الكريم قد وضعوا دراسات وصلت إلى درجة مثيرة للغثيان<sup>(38)</sup> وأن غالبها غير صحيح إذ ركزت على الجانب الأدبي فقط وأغفلوا أن الأعمال الأدبية تحتوي على العمل الخلاق أيضاً. ويشبه "وات" الدين بالأدب في إمكانية أخذ المفاهيم من السابقين مع الاحتفاظ بالإبداع<sup>(39)</sup>. وفي هذا تلميح بعلاقة دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) باليهودية والمسيحية. إذ يفهم من عباراته أن الإسلام استفاد مما في الديانتين وأعاد طرحهما بطريقة خلاقة جديدة توحى بالأصالة والجدة، وهنا تبرز قدراته في إلقاء بذور الشك لأفكاره.

إن الحقائق التي ينبغي أن نشير إليها بعد أن عرضنا آراء "وات" تتلخص في التأكيد على وجود اليهود أبان هذه الفترة في يثرب، وعدم وجودهم في مكة بشكل يذكر؛ ووجود جماعة قليلة في مكة من المسيحيين لأسباب مختلفة: من تجارة، ورق، واحتراف مهنة. وهؤلاء لم يرو التاريخ أنهم قد بشروا بمسيحيتهم أو دعاوا إليها، كما لم تأت روايات لتدل أنهم خضعوا للتعذيب بسبب الدعوة لديانتهم كما جرى مع المسلمين؛ إذ أن قريشاً لم تكن لتقبل بمن يدعو إلى ديانة تعارض ما ألفته من عبادة الأوثان، بل وتذكرها بأبرهه الأشرم الذي جاء بمسيحيته لهم الكعبة. والأمر الآخر هو التأكيد على أن المؤرخين اليهود

في المنظور العربي. وقد انعكس هذا الاستيعاب عندهم على قبول المفاهيم اليهودية والمسيحية أو رفضها.<sup>(46)</sup>

وفي هذا إشارة إلى تطويع محمد (صلى الله عليه وسلم) للمفاهيم وتعديلها لتناسب العقلية العربية مما يوحي بأن أي اختلاف بين دعوة محمد وبين اليهودية والمسيحية إنما نشأ عن تعديل محمد (عليه الصلاة والسلام) للأفكار بغية تلقي القبول المناسب ضمن البيئة التي جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) فيها. كما أن فيه ملمزاً وإشارة إلى النمو التدريجي للدين بحيث يتناسب مع طبيعة المرحلة.

وهذا يؤكد لنا بوضوح على أسلوبه السلس والهادئ في زرع بذور الشك في أصل نية نبي الاسلام ويبدو واضحاً تجاهله لفكرة أن النبي المرسل قد أرسل من نفس المصدر الذي أرسل الانبياء الذين سبقوه.

**4-المطلب الرابع:** طبيعة العلاقة بين القرآن واليهودية والمسيحية بعد بدء دعوة محمد صلى الله عليه وسلم. في النقطة التالية ينتقل "وات" إلى بيان طبيعة العلاقة بين القرآن من جهة وبين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى خلال دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم). ويرسم ملامح هذه الفترة بما يلي:

#### الفرع الأول: مرحلة التمهيد:

يعبر "وات" عن هذه المرحلة بقوله "إننا لا نجد في بواكير ما نزل من القرآن (الكريم) سوى ما ذكر من توعّد بعقاب من ينكرون حق الله في أموالهم أو لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر. وكأن القرآن يمهّد لانتقال من ناعم من الصورة الراقية لأديان موجودة بالفعل لدين جديد (الإسلام)"<sup>(47)</sup>. ويؤكد "وات" أن ما حدث إنما هو التركيز على مجرد توسيع أفكار موجودة بالفعل وإضافة أفكار أخرى مستخلصة مما هو موجود بالفعل. وبهذا يربط محتوى القرآن ودين الإسلام في بداياته بالأديان السابقة.

وينظر "وات" إلى هذه الأفكار المشتركة مع اليهودية والمسيحية بأنها قد اتخذت شكلاً عربياً واضحاً نتيجة تأثير المنطقة بالديانات المختلفة. ويؤكد أنها لم تكن مجرد نقل عقائد سابقة، وأنه قد جرى تكيفها أو مواعمتها.<sup>(48)</sup>

وأسلوبه في صياغة الالفاظ يحمل معنى الاتهام غير المباشر لنبي الاسلام بأنه كان يخطط بنوايا لا تخلو من خبث لشخص يريد السلطة والحكم.

#### الفرع الثاني: استمالة اليهود ودعوتهم:

يفترض "وات" أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد فكر في وقت ما خلال السنة الأولى أو الثانية في المدينة بمنظمة دينية وسياسية تضمن شيئاً من الوحدة للأمة الإسلامية - تتضمن

أنفسهم يرون أن يهود الجزيرة العربية كانوا في معزل عن بقية أبناء دينهم؛ حتى أن اليهود الآخرين رأوا أنهم لم يكونوا يهوداً لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التلمود.<sup>(40)</sup>

وقد أنكر أحد المستشرقين وهو "وينكلر" الأصول اليهودية ليهود الجزيرة استناداً إلى مستواهم الثقافي والاجتماعي المتدني مقارنة بقومهم بفلسطين. وهذا يدل على أنهم لم يكونوا على ثقافة واسعة دينية أو مدنية حتى يؤثروا في القرآن.<sup>(41)</sup> بالإضافة إلى أن الديانة اليهودية ليست ديانة مبشرة، فهم يعتقدون بأنهم "شعب الله المختار" فكانت مدارساتهم تتم في مجتمعاتهم ولم يعرضوها لمن هم ليسوا يهود إذ إنهم لا يقبلون بهم داخل شعبيهم.<sup>(42)</sup>

وهذا يظهر لنا حجم الجهد المبذول من وات لاستخدام عناصر لها وجود لكنها لا تقوى بحال على أن تكون دليلاً على ما يريد الوصول اليه

**2-المطلب الثاني:** انساع تأثير اليهودية والمسيحية في الجزيرة العربية.

ويفترض "وات" اتساع الأثر اليهودي المسيحي في الجزيرة العربية وشدته، وي طرح إشكالية جديدة متمثلة في الأمور التي ذكرها القرآن وتضمنها من معتقدات العرب - المتأثرين أصلاً باليهودية والمسيحية على حد زعمه - في زمان محمد (عليه الصلاة والسلام).<sup>(43)</sup>

والغريب أن "وات" يؤكد على أنه "لا يكاد يكون ضرورياً لدراسة حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) تحديد الأهمية النسبية للتأثيرات اليهودية والمسيحية خاصة وأن كثيراً من التفاصيل هي موضع خلاف. ولكن الضرورة الرئيسية هي أن ندرك أن مثل هذه الأشياء كانت منتشرة قبل مجيء القرآن إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنها كانت جزءاً من إعداداته وإعداد بيئته لرسالته".<sup>(44)</sup>

وكلام "وات" في هذا السياق يخضع لنقد كبير؛ إذ أن زعمه بأن لأصحاب الديانات كل هذا النفوذ والتأثير لا يتناسب مع الأثر الواقعي في ذلك الزمان. فلماذا لم يقدروا أن يغيروا شيئاً من وثنية العرب على مدى ألفي سنة؟ وإذا كان لهم كل ذلك التأثير فلم لم ينصّروهم أو يهودوهم وقد خلت لهم الساحة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم؟ ولم لم يحدثوا فيهم ذلك الأثر والانقلاب الذي أحدثه الإسلام فيهم؟<sup>(45)</sup>

**3-المطلب الثالث:** تعديل الأفكار اليهودية والمسيحية لتناسب العقلية العربية.

يؤكد "وات" في المرحلة التالية أن الأفكار اليهودية والمسيحية قد تعرضت لبعض التعديلات حتى يمكن استيعابها

الي رشهدهم ثم عند رفضهم تم تأكيد غضب الله عليهم وطردهم من رحمته.

#### الفرع الخامس: مرحلة إدعاء التحريف:

يزعم "وات" أن المرحلة التالية كانت إعلان تميز الإسلام واعتبار أهله أمة متميزة عن اليهودية والمسيحية من جهة وبالمقابل اتهام الديانتين بالتحريف. وكان من مقتضيات هذه المرحلة طرح الأفكار والعقائد بزوايا مختلفة عما طرحته اليهودية والمسيحية. وكانت فكرة دين إبراهيم عليه السلام نموذجاً عملياً واقعياً. وتجلي ذلك في كون دين إبراهيم قد اتخذ شكله النقي الخالص في الإسلام بعد أن حرفة اليهود والنصارى.<sup>(53)</sup>

ويؤكد "وات" أن الإسلام بهذه الطريقة قد ضمن الحماية الفكرية من الهجوم المبني على أساس فكري والذي قد يشنه اليهود والنصارى. وتمت الاستفادة من عقد الصلة بين الإسلام والديانتين على أنه امتداد لهما حتى طور المسلمون المتعلمون من النظرية التي مؤداها تحريف التوراة والإنجيل وكان هدفها تحصين العربي البسيط الذهن القادم من الصحراء ضد حجج سكان المدن المسيحيين الأكثر فكراً.<sup>(54)</sup>

وبفكرة دين إبراهيم (عليه السلام) يكون "وات" قد حدد الموقف الأول الذي رسم ملامح عداوة واتهام الإسلام لليهودية والمسيحية بالتحريف.

ويصرح "وات" بأن "هذه النظرية (التحريف) رغم تعقيدها لم تكن متماسكة، وعدم تماسكها هو أحد مزاياها".<sup>(55)</sup> كما أشار "وات" إلى أن التحريف الذي اتهم به العهدان (التوراة والإنجيل) كان تحريفاً جزئياً وليس كاملاً وأن التفسير هي التي أعطت بعداً أكبر بكثير للتحريف مما كان مصرحاً به في القرآن.<sup>(56)</sup>

الفرع السادس: مرحلة العلاقات الطيبة مع المسيحية ثم تحولها للعداوة:

يوضح "وات" أن ازدياد العداوة بين المسلمين واليهود لم يؤد إلى تدهور العلاقات الطيبة بينهم وبين المسيحيين. ودلل على فرضيته بمجموعة من القرائن:

1- أن القصص عن عيسى (المسيح) عليه السلام يستعمل في القرآن لمهاجمة اليهود.

2- الملاحظ أن الرسل الإثني عشر يسمون " الأنصار " أو "حواري عيسى" وهو اسم أطلق على عرب المدينة الذين أيدوا محمداً (صلى الله عليه وسلم) وعارضوا اليهود.

3- آية القرآن التي تتحدث عن صلب المسيح لا تنفي عقيدة المسيح بل تنفي ادعاء اليهود بأنهم انتصروا على المسيحيين.

اليهود - دون أن يطلب من اليهود التخلي عن عقيدتهم أو أن يعترفوا بمحمد (صلى الله عليه وسلم) كنبي طلب إليه ان يبلغهم رسالة الله يكون التفاهم بذلك قائم على التوحد ودليله من الآية: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " 64 آل عمران.....<sup>(49)</sup>

ونرجع لنؤكد هنا تلميحه لسوء النية المبطن والذي يتهم به محمداً صلى الله عليه وسلم والذي يشكل خطاً ناظماً في كتاباته لمن يركز فيها فهو يرى كل هذه المراحل لا تزيد عن كونها تخطيطاً استراتيجياً من زعيم ذكي يريد السيطرة

الفرع الثالث: مرحلة رفض اليهود دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم):

بعد اتهام "وات" لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بالاستعداد للقيام بالتنازلات وبذل الجهود لجعل الدين الجديد مماثلاً لدين اليهود يبين أن اليهود لم يغيروا موقفهم منه؛ بل اشتدت عداوتهم وانتقاداتهم اللاذعة لنبوته. وأرجع "وات" بعض الأسباب الجزئية لذلك الموقف إلى البعد الديني بسبب وجود التناقض الواضح بين أقوال محمد (صلى الله عليه وسلم) وموقف اليهود الأساسي فيما يتعلق بالعقيدة.<sup>(50)</sup>

#### الفرع الرابع: مرحلة التغير المفاجئ:

يزعم "وات" أن النقطة السابقة كانت سبباً في تغير موقف محمد (صلى الله عليه وسلم) المفاجئ. واعتمد في ذلك على حادثة تغيير القبلة كدليل وإعلان بذات الوقت بتميز الدين الجديد وقطع الصلات باليهود، مما تطور إلى إرسال سلسلة من الهجمات ضد اليهود على المستوى المادي وشرع القرآن على المستوى الفكري بخصومة ضد اليهودية.<sup>(51)</sup>

وقد علل "وات" الأسباب التي يراها تقف وراء تغير موقف محمد (صلى الله عليه وسلم) من اليهود بأنها تعود إلى اختيار اليهود الإساءة إلى ما ادعاه محمد (صلى الله عليه وسلم) من تلقي الوحي المشابه للذي تلقاه اليهود؛ من خلال إظهار الفروق بينهما بدلاً من الاعتراف بهذا الشبه. مما جعلهم خطراً على محمد (صلى الله عليه وسلم) يهدد بالقضاء على الأساس الفكري للموقف السياسي والديني فترتب على ذلك إعلان قطع الصلات والسير نحو اتجاه جديد.<sup>(52)</sup>

وهذا أيضاً يؤكد على تصميمه على غرس فكرة تشكل خطاً ناظماً لتلميحاته المبينة على فكرة أن الاسلام ليس وحياً وإنما تخطيط وفكر استراتيجي من رجل دولة سياسي يخطط حسب معطيات الواقع ويفصله تماماً عن فكرة التوجيه الإلهي البحث المبني على فتح الفرصة لهؤلاء اليهود للعودة



وتهبأ المسلمون حينها إلى الشك مسبقاً في الأفكار والبراهين المسيحية.<sup>(60)</sup>

من الجلي لنا هنا كيف أن وات يسعى للتخفيف من حدة موقف المسيحيين المعادي للمسلمين والممالأة والمناصرة للرومان ضد اخوتهم في العروبة والجغرافيا والتاريخ فهذا في أعرافهم خيانة من أعظم الخيانات. فيتجاوز هذا الموقف الجلل بعبارات تقوم بتبسيط بل وتسطيح الحقائق بينما يتم التركيز على الدور السلبي او الاجرامي وهي ردة فعل المسلمين وهذا يعود ويؤكد على الخيط الناظم الذي يريد وات الوصول اليه.

#### الفرع السابع: مرحلة قبول المادة التوراتية والمسيحية:

يشير "وات" إلى أن حالات اعتداء المسيحيين للإسلام اقتضت حصول شيء أكثر إيجابية من مجرد النظرة الدفاعية حول "تحريف" التوراة. ويزعم "وات" أن المسلمين قد قبلوا مع الزمن المادة التوراتية الوفرة التي شكلت عملياً امتداداً لقصص جرى التلميح إليها في القرآن، مع ترك الأجزاء التي لا يرد ذكرها في القرآن. أما الأعراف التاريخية المسيحية فقد اعتبر المسلمون أنها أفعال الذميين أو الكفار لا مغزى لها.<sup>(61)</sup> وأضاف "وات" على تقديمه السابق أن المسلمين كانوا أحياناً ينتحلون حكمة الشعوب الأخرى ويطوعون المادة غير الإسلامية دونما اعتراف بها ويعتبرونها مستقاة من مصادر عربية. وضرب "وات" مثلاً على ذلك أن محمداً علم أصحابه دعاءً تتفق صيغته تماماً مع صيغة الصلاة الربانية المسيحية.<sup>(62)</sup>

ويضيف أن الذين اعتنقوا الإسلام منهم وكانوا قد تلقوا تعليمهم في ظل تقاليد ثقافية سابقة أنهم قد مزجوا في أذهانهم ما تلقوه في الماضي من العلم بدراساتهم القرآنية مما أسهم في التيار العام للفكر الإسلامي.<sup>(63)</sup>

#### الفرع الثامن: تأثير الأقليات الذمية:

كان الكلام سابقاً عن العلاقة الفكرية والعقدية؛ وهنا نركز على العلاقة السياسية داخل المجتمع في الجزيرة العربية وأثر ذلك على العلاقة الفكرية والعقدية.

يشير "وات" إلى أن العلاقة التاريخية بين الإسلام من جانب واليهودية والمسيحية من جانب آخر قد تطورت بتطور حالة الدولة الإسلامية التي بدأت الجهاد في الجزيرة العربية وخارجها، حيث عومل اليهود والنصارى والصابئين (من الزرادشتيين أو غيرهم ممن اعتبرهم الإسلام موحدين) معاملة مختلفة اعتباراً لدياناتهم بأنها قريبة الصلة بالإسلام وأنهم من الموحدين. وكان الغرض من جهادهم هو إخضاعهم للحكم الإسلامي باعتبارهم أهل ذمة لا تحويلهم عن دياناتهم إلى الإسلام.<sup>(64)</sup>

4- يمكن الاستنتاج أن كثيراً من الآيات ترجع لأول الفترة المدنية والتي تنتقد اليهود والمسيحيين كانت في الأصل موجهة ضد اليهود. وذكر "وات" أن هناك شكاً قوياً بأن تكون هذه الآيات قد نحتت فيما بعد حتى يمكن تطبيقها على اليهود والمسيحيين.

إن هذا الادعاء - وإن فهم في السياق اليهودي والمسيحي - هو ادعاء خطير في السياق الإسلامي. فما الذي يتبقى من مصداقية القرآن إذا تعرض القرآن للتفتيح؟<sup>(57)</sup>

5- أما الآيات التي انتقدت العقائد المسيحية فإن "وات" يصفها بأن المسلمين كانوا يعتقدون بأنها تتحدث عن المسيحية. ودلل على قوله بأن:

- المسألة الأساسية التي يوضحها القرآن هي أن المسيح وأمه ليسا إلهين؛ فالمسيح كائن مخلوق كسائر المخلوقات.
  - أما المسألة التي ينفىها القرآن فهي أن يكون المسيح إلهاً أو الله نفسه.
  - يؤكد "وات" أنه لا يوجد في الآيات ذكر للمسيح على أنه "ابن الله". ويشدد "وات" أن القرآن أعطى هذه الفكرة أهمية أقل من النقطة السابقة.
  - يدل "وات" على أن هذه النظرية تتأكد بلفظ "بنات الله" الذي كان يطلق على آلهة الوثنية.
- وعلى ذلك فإن الفرضية التي يطرحها هي أن الآيات التي تتحدث عن العقائد المسيحية ليست مؤكدة في دلالتها أنها تتحدث عن المسيحية بل إنها تتعلق بالأصل بالوثنية، إلا إذا ذكر المسيح.<sup>(58)</sup>

يشير "وات" إلى أن هذا الوضع قد تغير بعد فتح مكة ومعركة حنين؛ إذ تحدد موقف الإسلام العام من المسيحيين على ضوء موقف قبائل الشمال التي كانت في غالبيتها مسيحية. وحلت العدواة محل العلاقات الطيبة<sup>(59)</sup>، ونزل الوحي على النبي يأمره بمحاربة هذه القبائل حتى الخضوع التام "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ {29} وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ {30} اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {31} يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنْمِ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ {32} التوبة.

وكانت هذه الآيات تعني بداية سياسة عدائية نحو المسيحيين توجت باحتلال المسلمين لأراض مسيحية واسعة،

### نتائج البحث

في نهاية هذا البحث نؤكد على أن الاستشراق عامة - ومنهم "وات" - قد أخطأ أخطاء فادحة في دراساته للقرآن والإسلام. والدلائل المباشرة وغير المباشرة على بعده عن الانصاف الذي وصف به بانت واضحة للمتفحص المتابع ويمكننا عرض بعض هذه الأخطاء التي يشترك بها غالب المستشرقين ومنهم وات بما يلي: (72)

- أخذ منهج غربي صالح للتطبيق على اليهودية والنصرانية وتطبيقه قسراً على الإسلام.
  - عدم الاعتراف بالاختلافات الجوهرية بين الإسلام من جهة واليهودية والمسيحية من جهة أخرى والالتزام بمنهج واحد في دراسة هذه الأديان.
  - سوء استخدام المنهج العلمي النقدي خاصة مع الإسلام فقط وإخفاء استخدامه مع اليهودية والمسيحية.
  - اعتمادهم على مفهوم نمو الأديان التدريجي بناء على المرحلة الزمنية. والصاق ذلك بالإسلام.
- وأما بخصوص مونجيري وات تحديداً فمما يمكن استنتاجه بوضوح من منهجه ما يلي:

- 1- ألزم نفسه بعدم مصادمة مشاعر المسلمين والتعرض لمعتقداتهم الأساسية بأي سوء، وتجنب الاحتمالات الوهمية. وقد بات هذا المنهج المفضل والطريقة الحديثة عند المستشرقين.
- 2- ظهر لنا بمظهر المستشرق المتسامح المتعاطف الحيادي (73) ليوحى بأنه لن يعارض الحقائق الأساسية للإسلام. ولكن الواقع الحقيقي يُفصح ويكشف عن كثير من المغالطات في الاستنتاجات المبنية على أركان وهمية. وهذه هي العبقرية التي وظفها "وات" لاستخلاص اليقين - المزعوم - من مقدمات الوهم والخرص. (74)
- 3- لم يختلف "وات" كثيراً عن باقي المستشرقين من حيث النتائج النهائية التي اعتمدها. إلا أن الاختلاف قد برز من ناحية الأسلوب الذي اعتمده للوصول إلى مراده. ويمكن وصفه بأنه كان أقل مصادمة في العرض. ولعل هذا ما أوهم البعض بأنه متعاطف ومحايد.
- 4- بعض تصريحات القسيس الأول ومزاعمه لا تلقى قبولاً بل رفضاً من المسلمين. (75)
- 5- "اتكا" على معلومات سابقه، وفسر بعض الأحداث التي مرت بالرسول - عليه الصلاة والسلام - تفسيراً مادياً، اعتمد فيه على الإسقاط مثلاً. (76)
- 6- الأخذ بالمفهوم الغربي الحديث للنمو التدريجي للأديان. أي أن الرسول أو النبي يعمل وفق المقتضيات المرحلية لكل

ويشير "وات" إلى أن الأقليات الذمية قد عرفت باسم "أهل الذمة" باعتبارها تتبع أنبياءها. واعتبر "وات" أن هناك نقيصة كان يعاني منها الذميون ألا وهي اعتبارهم مواطنون من الدرجة الثانية (65).

وضرب "وات" أمثلة على ذلك النقصان الذي أحسه أهل الذمة بما يلي:

- 1- لم يسمح لهم بالإتخراط في سلك الجند. (66)
  - 2- لم يسمح لهم بالزواج من المسلمات.
  - 3- كانت مناصب الدولة العليا بعيدة عن تناول أيديهم. (67)
- ويزعم "وات" أن هذا العامل قد مارس ضغطاً متواصلاً على الذميين ليصبحوا مسلمين مما أفزر سيلاً من المهتدين إلى الإسلام (68). ويمرور الوقت زادت نسبة المسلمين إلى غير المسلمين وشكل الذميون الأغلبية الساحقة من سكان الولايات الجديدة المفتوحة. (69)

وبعد استعراض مزاعم "وات" حول المراحل المختلفة المزعومة لعلاقة القرآن باليهودية والمسيحية نشير إلى أن هناك حقيقة علمية لا بد من تسجيلها. وهذه الحقيقة تتمثل في أن تأثير الحضارات والشعوب بعضها من بعض واقتباس بعضها من بعض هو أمر طبيعي. ولكن الزيف العلمي والتجني على الحقيقة هو أن نفقد التمييز بين مفهوم الأثر والتأثير الطبيعي بين الحضارات وبين اتهام القرآن باقتباس مضامينه من الآثار اليهودية والمسيحية. (70)

إن هذا التشابه الظاهر بين الديانات الثلاث هو النتيجة الطبيعية لأديان مصدرها الأساسي واحد. وهذا هو الفرق في منهج المسلمين ومنهج المستشرقين في التعامل مع الوقائع التاريخية. (71)

إن إصرار المستشرقين في نفي صفة الوحي الإلهي عن القرآن يجعلهم يقصون القرآن عن المنزلة التي يستحقها بين الكتب السماوية، ويزيد مقدار الهوة بين ادعاءاتهم ومزاعمهم وبين الحقيقة القرآنية الربانية.

### وفي نهاية هذا المبحث يبرز التساؤل المنطقي:

إذا كانت للنبي قبل مبعثه كل هذه الاتصالات فلماذا لم يعتنق اليهودية أو المسيحية؟

إذا كانت كل هذه التأثيرات اليهودية والمسيحية منتشرة في الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ فلماذا لم نجد أن أهل الجزيرة العربية قد تحولوا لليهودية أو المسيحية.

إن الحجم الذي أعطاه "وات" لقضية التأثير اليهودي المسيحي على الجزيرة العربية قد أخذ بعداً غير حقيقي؛ بل أقرب إلى الخيال. إذ أن واقع الروايات التاريخية وواقع نتائج تلك المرحلة تسير في اتجاه معاكس للاتجاه الذي سلكه "وات".

ودراساتهم للقرآن. لقد بانث آثار اللين الذي رضع منه "وات" حتى شبَّ "مستشرقاً" بكل معنى الكلمة.  
ونخلص أن زعم وإدعاء أن وات هو مستشرق محايد منصف هو زعم لا تقوى الشواهد على تأييده بحال. ولا بد لنا من تعديل ونقد كل من يحاول الباسه هذه الصفة التي لا يستحقها.

فترة تاريخية. ومن ثم فإن منظوره للدين إنما هو وليد مواضع تلك الفترة، فهو لا يملك -ابتداء- رؤية شمولية عن أبعاد دوره كنبى، وعن الملامح النهائية للعقيدة التي جاء يبشر بها.<sup>(77)</sup> حيث أشار عماد الدين خليل الى أنه قد اشترك فيه مع غيره من المستشرقين  
وبذلك يكون بحثنا قد كشف الاخوة الحقيقية بين "وات" وإخوته المستشرقين، وأظهر علاقة القرى بينهم في تناولهم

## الهوامش

- التي ناقشها تلك التي تتعلق بمواقف مؤلفي هذه الدراسات المسيقة من الإسلام، وأثر ذلك على النتائج المتحققة لدراساتهم. ولا نغفل عن ذكر أهم نقد انتقده عليها ألا وهو مجانبة كثير من هذه المؤلفات للحقيقة فيما يتعلق بدراسة الإسلام وجوانبه المتعددة - تاريخاً، قرآنً، سيرة
- (6) نقصد سياسة دس السم في الدسم أو السياسة الناعمة في القتل أو سياسة فرق تسد والتي اشتهرت بها السياسة البريطانية إبان سيطرتها على عدة دول في العالم.
- (7) يقول عمر عبيد حسنة حول معركة المواجهة العقائدية "لقد اكتفينا بمواقف الرفض والإدانة للاستشراق والتتصير، اكتفينا بالانتصار العاطفي للإسلام، وخطبنا كثيراً ولا نزال في التحذير من الغارة على العالم الاسلامي القادمة من الشرق والغرب دون أن تكون عندنا القدرة على إنضاج بحث في هذا الموضوع، أو ايجاد وسيلة صحيحة في المواجهة، أو تحقيق البديل الصحيح للسيل الفكري والغزو الثقافي القادم من هناك... الا من رحم الله من جهود فردية لا تفي بالغرض..." تقديم الطبعة من "كتاب الامة" زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط2، ص 13.
- (8) أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص52-54، نقلا عن أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص 82.
- (9) غراب رؤية إسلامية للاستشراق، ص 82.
- (10) غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص 11.
- (11) قزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 86.
- (12) غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص8، 9.
- (13) وفي سياق استغرابه من بعض الهيئات العالمية مثل اليونسكو والتي هي هيئة عالمية يشترك فيها الدول الاسلامية حيث تعتمد هذه الهيئة الى استكتاب المستشرقين بوصفهم متخصصين في الاسلاميات للكتابة عن الاسلام والمسلمين في الموسوعة الشاملة التي تصدرها اليونسكو عن تاريخ الجنس البشري وتطوره الثقافي العلمي ثم ينقل عن د عن عبد الجليل شلبي في كتابه "الاسلام والمستشرقون" قوله "وقد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين على مؤسسة

- (1) مثل آرثر جيفري على سبيل المثال.
- (2) وليام مونتجمري وات William Montgomery Watt (14 مارس 1909 - 24 أكتوبر 2006) مستشرق معاصر بريطاني الأصل. كان والده أندرو "وات" قسيساً.
- درس في كل من أكاديمية لارخ 1914-1919 وفي كلية جورج واتسون بادنبيرة وجامعة أدنبيره 1927م-1930م وكلية باليول بأكسفورد 1930م-1933م وجامعة جينا بألمانيا 1933م وجامعة أكسفورد وجامعة أدنبيرة في الفترة من 1938م إلى 1939م ومن 1940م إلى 1943م على التوالي، عمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي أدنبيرة. تركزت اهتماماته الأساسية في مجال السيرة النبوية.
- عمل رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبيره في الفترة من 1947-1979. نال درجة الأستاذية عام 1964. دعي للعمل أستاذاً زائراً في كل من الجامعات الآتية: جامعة تورنتو 1963 و1978 وكلية فرنسا في باريس عام 1970 وجامعة جورجيتاون بواشنطن عام 1978-1979.
- (3) تناول عدد من المؤلفين كتب "وات" بالدراسة والنقد والتحليل، ومنها:
- خليل، في بحثه: المستشرقون والسيرة النبوية..
- الكتاب الذي أصدره المعهد العالمي للفكر الإسلامي بعنوان: الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة لآراء وات- بروكلمان- فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية) للمؤلف: "عبدالله محمد الأمين النعيم".
- فيما عدا هذين الكتابين لم نطلع على كتابات متخصصة ذكرت آراء "وات" في موضوع بحثنا.
- (4) انظر عبدالمحسن، ماذا يريد الغرب من القرآن، مجلة البيان، السعودية، ط1، ص 154. العالم، المستشرقون والقرآن، ص 85-86.
- (5) تعرض "وات" للدراسات الاستشراقية السابقة التي تناولت الإسلام في مجموعة واسعة من كتبه، أبرز من خلالها جوانب مختلفة لطبيعة هذه الدراسات، ولعل من أهم القضايا

- طبعة، بدون تاريخ. 75 ومحمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، بدون طبعة وبدون تاريخ ص 15 والغزالي، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين ص 57.
- (34) شيخ إدريس، منهج مونتغمري وات في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م ص 209. وانظر وات، محمد في مكة 41.
- (35) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين، ط4، 1420هـ - 2000م. ص 117 وانظر ص 256-258.
- (36) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين، ط4، ص 117 وانظر ص 256-258.
- (37) انظر وات، الإسلام والمسيحية، 89 و W. Montgomery Watt, Muhammad prophet and statesman, Oxford university press, Great Britain, 1964, 4-6.
- (38) انظر وات، محمد في مكة 82.
- (39) انظر وات، الإسلام والمسيحية ص 71-72 وص 189 ووات، محمد في مكة 84-85 و Watt, Bell's introduction 8.
- (40) انظر شلبي، صور استشرافية 45-48.
- (41) الحاج، نقد الخطاب الاستشرافي 287.
- (42) شلبي، صور استشرافية 52.
- (43) وات، محمد في مكة 83.
- (44) السابق 88.
- (45) العالم، المستشرقون والقرآن 74.
- (46) انظر وات، محمد في مكة 87-88.
- (47) انظر وات، الإسلام والمسيحية 103.
- (48) انظر السابق 105.
- (49) انظر وات، محمد في المدينة 306-308. ووات، الإسلام والمسيحية 190.
- (50) انظر وات، محمد في المدينة 308 و Watt, Bell's introduction 118.
- (51) انظر وات، محمد في المدينة 308-310 و Watt, Bell's introduction 125.
- (52) انظر وات، محمد في المدينة 311.
- (53) انظر السابق 312-313.
- (54) انظر وات، الإسلام والمسيحية 111.
- (55) وات، الفكر السياسي الإسلامي (المفاهيم الأساسية)، ص 97.
- (56) انظر W. Montgomery Watt, Islam and Christianity today A contribution to dialogue, Routledge&Kegan Paul, London, 1983. 69.
- (57) النعيم، الاستشراق في السيرة 210.
- (58) انظر وات، محمد في المدينة 485.
- (59) هناك خطأ في نسخة الكتاب للنص المترجم واضح من اليونسكو. والمهم ما فيها من مجافاة للحقائق التاريخية وتهجم على نبي الإسلام، وكتب الكثيرون احتجاجات على هذه الاساءات التي ليست الا وحيا لتقاليد موروثه، وامتدادا للروح الصليبي، وهو عمل كان ينبغي أن تنتزه عنه هذه المؤسسة الكبيرة" حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 139.
- (14) زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 87 عن اللبان ص 34.
- (15) غراب، رؤية اسلامية للاستشراق عن كتاب "الاستشراق" لادوارد سعيد "بالانجليزي".
- (16) للاستزادة حول الفكر الصهيوني واهدافه وتاريخه ينصح بكتابات المفكر المصري المسيري وخاصة موسوعة "اليهود واليهودية الصهيونية".
- (17) النملة، الاستشراق في الادبيات العربية، عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب، ص 82.
- (18) النملة، الاستشراق في الادبيات العربية ص 852.
- (19) النملة، الاستشراق في الادبيات العربية، ص 82، 83.
- (20) أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين المبشرين، ص 9.
- (21) السابق ص 9، 10.
- (22) غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص 115.
- (23) النملة، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، استقراء للمواقف، ص 13، نقلا عن كتاب المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامي ص 99.
- (24) انظر غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص 34، 35.
- (25) غراب، رؤية اسلامية للاستشراق عن وات "المدخل الى القرآن".
- (26) غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص 36.
- (27) غراب، رؤية اسلامية للاستشراق ص 36. بدوي، موسوعة المستشرقين.
- (28) غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص 36.
- (29) أنظر غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص 37.
- (30) Muhammad Prophet And Statesman, W. Montgomery Watt, Oxford University Press, 1964, pp 224-229.
- (31) الزناتي، زيارة جديدة للاستشراق، مع دراسات للرؤية الاستشرافية المنصفة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، ص 102.
- (32) وات، محمد في مكة 40 و 123.
- (33) حتى أن بعض المستشرقين قد هبوا في وجه من كان ألين قليلاً من غيره في دراساته الاستشرافية بحيث يطالبونه بالموضوعية والعلمية وأن يلجأ لمستوى النقد العالي كما كتب "ألفرد جيوم" مهاجماً "وات" في كتابه محمد في مكة لأن "وات" خرج عن خط المستشرقين التقليدي في بعض الاتجاهات. انظر محمد عبدالله الشراوي، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، دار الهداية، القاهرة، بدون

- (70) انظر الحاج، نقد الخطاب 285-286.
- (71) انظر خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق الالبريطاني المعاصر مونتغمري وات، في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، تونس، ن 1985م. ص 165.
- (72) انظر محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1997م. ص 17-18.
- (73) هاجم بعض المستشرقين مثل المستشرق "ألفرد جيوم" منهج "وات" لأن "وات" خرج عن الخط التقليدي للمستشرقين في بعض الاتجاهات. انظر البهي، المبشرون والمستشرقون، مطبعة الأزهر، ص 15.
- (74) انظر عتر، وحي الله 156-157.
- (75) ولقد أقام الطيباوي نقداً علمياً لمنهج "وات" الذي كتبه على نفسه...وعلى سبيل المثال فإنه عندما يقول: إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) "كان على دراية بالتعاليم اليهودية" وأنه كان "يحاول أن يجعل دينه أكثر يهودية" وأن يظهر اعتماده على "التقاليد الإنجيلية"، فإنه من الصعب أن نصدق بأن الكاتب لم يكن على علم بأن كل هذه المزاعم تتناقض حرفياً مع القرآن، وأنها لا تتسجم إطلاقاً مع اعتراف الكاتب نفسه بصدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في كونه رسول الله. وبالتأكيد فإن كاتباً مثله قد عكف على دراسة الإسلام مدة طويلة كان يجب أن يعرف أن أحكامه هذه تسيء للإسلام القويم وأنها لا ترجح في تقييم الأدلة التاريخية. الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية 98.
- (76) <sup>1</sup> النملة الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدرتهم)، مكتبة التوبة، ط1، ص 196.
- (77) خليل، المستشرقون والسيرة، 177.
- السياق إذ أن العبارة في الكتاب " وحلت العلاقات الطيبة محل العداوة" وات، محمد في المدينة. 487
- (60) انظر وات، محمد في المدينة 475-487 ووات، الفكر السياسي 97.
- (61) انظر وات، الفكر السياسي 99.
- (62) انظر وات، فضل الإسلام 20 ووات، الفكر السياسي 100. مع ملاحظة أن "وات" ذكر سابقاً أن المسلمين اعتبروا ما يصدر من المسيحيين أفعال الذميين والكفار.
- (63) انظر وات، فضل الإسلام 20.
- (64) انظر السابق 15 ووات، أثر الإسلام 42-43.
- (65) انظر وات، الفكر السياسي 76 و"وات"، فضل الإسلام 15-16.
- (66) أظن أن هذا الامر ينبغي أن ينظر اليه على أنه أمر منطقي وهو عرف عام لدى البشر عامة وما كان ينبغي لوات أن يتحدث عنه.
- (67) وهل هناك دولة في العالم تفعل هذا حتى يلام المسلمون دون غيرهم؟ الولايات المتحدة "أم الادييمقراطيات" فيها ما يزيد على ١٥ مليون مسلم بعضهم من عشرات السنين لا يحلمون بمنصب وزير فضلاً عن قائد في الجيش!!!
- (68) وهذا اتهام زور فيه بهتان فوقائع التاريخ أكثر من أن تحصي على التوجه الذاتي لكثير من أصحاب الدول المفتوحة الي هذا الدين الجديد بنظامه الاجتماعي والاخلاقي والسياسي والمالي البديع ناهيك عن أن النظام الاسلامي في التعامل مع العبيد من حيث اكرامهم وفتح أبواب العتق عبر الكفارات العديدة بل الى حد وصول بعضهم الى اعلى درجات العلم الشرعي والمكانة والهيبة لم يوجد له مثيل في تاريخ البشرية قاطبة.
- (69) انظر وات، الفكر السياسي 76 و"وات"، أثر الحضارة العربية 43.

## المصادر والمراجع

- أحمد، محمد خليفة حسن، 1997م، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1.
- البهي، محمد، دت. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر.
- البهي، محمد، دت. المبشرون والمستشرقون، مطبعة الأزهر.
- الحاج، سامي سالم، 2002م، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الإسلامية)، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت.
- خليل، عماد الدين، 1985م، المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات،
- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، تونس.
- أبو خليل، شوقي، 1999، أضواء على مواقف المستشرقين المبشرين، منشورات جمعية الدعوة لاسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط2.
- زقزوق، حمدي، 1989، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار القاهرة، ط2.
- الزنتاتي، أنور محمد، 2006، زيارة جديدة للاستشراق، مع دراسات للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مكتبة الانجلو المصرية، ط2.
- شليبي، عبدالجليل عيده، 1978م، صور استشراقية، مجمع البحوث الإسلامية، السنة العاشرة الكتاب الأول.
- الشرقاوي، محمد عبدالله، دت. الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، دار الهداية، القاهرة.

عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب،، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1.

النملة، علي بن إبراهيم، 1993، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، استقراء للمواقف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

وات، وليام مونتغمري، 1422هـ - 2002م، أثر الإسلام في أوروبا، ترجمة الطاهر بن عبد السلام حافظ، دار الزمان، المدينة المنورة، ط1.

وات، وليام مونتغمري، 1981م، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، ترجمة جابر أبي جابر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

وات، وليام مونتغمري، 1998م، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وات، وليام مونتغمري، 1403هـ - 1983م، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، مكتبة مدبولي، مصر، ط1.

وات، وليام مونتغمري، الفكر السياسي الإسلامي، المفاهيم الأساسية، ترجمة صبحي حديدي، دار الحداثة، بيروت.

وات، وليام مونتغمري، محمد في المدينة، ترجمة شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بدون سنة نشر، بدون طبعة.

وات، وليام مونتغمري، محمد في مكة، ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ وحسين عيسى، مراجعة أحمد شلبي، 2002، الهيئة المصرية العامة.

Watt, W. Montgomery. 1997. Bell's introduction to the Quran, revised and enlarged by W. Montgomery Watt. University press, Great Britain.

Watt, W. Montgomery. 1983. Islam and Christianity today a contribution to dialogue, Routledge & Kegan Paul, London.

Watt, W. Montgomery. 1964. Muhammad prophet and statesman, Oxford.

شيخ إدريس، جعفر، 1985م، منهج مونتغمري وات في دراسة نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

الطباوي، عبداللطيف، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ترجمة وتعليق قاسم السامرائي، 1991م، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

العالم، عمر لطفي، 1991، المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1.

عبد المحسن، عبدالراضي محمد، 2006م، ماذا يريد الغرب من القرآن، مجلة البيان، السعودية، ط1.

عتر، حسن ضياء الدين، 1999م، وحي الله (حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين)، دار المكتبي، سورية، ط1.

غراب، أحمد، 1411هـ، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، ط2، غراب، ص 11

Al- Muntada AL Islami Educational Centre London UK

الغزالي، مشتاق بشير، 1429هـ - 2008م، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار النفائس، دمشق، ط1.

ماضي، محمود، 1416هـ - 1996م، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، دار الدعوة، الاسكندرية، ط1.

بن نبي، مالك، 1420هـ - 2000م، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4.

نصري، أحمد، 2009م، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، دار القلمون الرباط، ط1.

النعيم، عبدالله محمد الأمين، 1997م، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة لآراء وات - بروكلمان - فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا.

النملة، علي بن إبراهيم الحمد، 1418هـ - 1998م، الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، مكتبة التوبة، ط1، ص 196.

النملة، علي بن إبراهيم، ١٩٩٣، الاستشراق في الادبيات العربية،

## Testing the Objectivity of Orientalists from Jewish and Christian Backgrounds in What Pertains to Islam William Montgomery Watt as A Case Study

*Amjad Qourshah, Sawsan Hakouz \**

### ABSTRACT

It has been believed by number of researchers that many Orientalists are so objective and neutral in their opinions about Islamic issues, even though they are from Christian and Jewish backgrounds and sometimes they are priests.

William Montgomery Watt, a British Orientalist, has composed a collection of books on Islamic studies. He has been described by many as the "sympathetic Orientalist". He claimed the position of "objectivity and neutrality" in his books.

Even though he was not a specialist in Qur'anic studies but the dangerous hidden messages that he sends while discussing the biography of prophet Muhammad peace be upon him cannot be ignored. In specific what is related to the influence of Judaism and Christianity on the Qur'an.

This study will attempt to unveil this claim by highlighting evidences that show to what degree this Orientalist deserves this "description" or not.

This will be proved by illustrating, investigating and clarifying Watt's methodology throughout his books. In what pertains to how objective and neutral he is and refutes some of them.

**Keywords:** Orientalism, Orientalists, Christian missionary, Christianity, objectivity.

---

\* Faculty of Shari'a, The University of Jordan, Received on 27/1/2013 and Accepted for Publication on 28/3/2013.